سلسلة أعمال القلوب (٥)

اتباع الهوى

ⓗ مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

اتباع الهوى ، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٥٤ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٩-١٤-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي : ٢١٣ ١٤٣٠/٤٠٤٩

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



محمد صالح المنجد

سلسلة أعمال القلوب (٥)

اتباع الهوى



١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن اتباع الهوى عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه يُنتج من الأخلاق قبائحها، ويُظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً، ومدخل الشر مسلوكاً.

الهوى مطية الفتنة، والدنيا دار المحنة، فانزِل عن الهوى تسلم، وأعرض عن الدنيا تغنم، ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي، ولا تفتننك الدنيا بحسن العواري، فمدة اللهو تنقطع، وعارية الدهر تُرْتجع، ويبقى عليك ما ترتكبه من المحارم، وتكتسبه من المآثم.

الهوى هو العدو الأعظم الذي يجب على الإنسان أن يقاتله ويحاربه أشد مما يحارب أي عدو، يقول أبو حازم: (قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك)[1].

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٢٣١).

الهوى هو أساس كل فتنة، وسبب كل بلية، قال سفيان الثوري:

يَا نَفْسُ تُوبِي فَإِنَّ الـمَوْتَ قَدْ حَانَا
وَاعْصِ الهَوَى فَالهَوَى مَا زَالَ فَتَّانَا

ولما كان هذا شأن الهوى وجب الحديث عنه حتى نبتعد عن هذا المرض الخطير والشر المستطير.

وسنتطرق في هذا الكتاب إلى تعريف الهوى، وأضراره، وفوائد مخالفته، وأسباب اتباعه، وطرق علاجه، والفرق بين المحمود منه والمذموم.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها بالصورة المرضية. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



تعريف الهوى

الهوى في اللغة:

مصدر (هَوِيَه) إذا أحبَّه واشتهاه[١].

الهوى في الاصطلاح:

الهوى: (ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع)[٢].

وقال ابن القيم: (الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل خُلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لو لا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل ولا شرب ولا نكح، فالهوى مستحث لها لما تريده هذه النفس، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذيه)[٣].

(١) المغرب في ترتيب المعرب (٢/ ٣٩٢).

(٢) التعريفات للجرجاني (٣٢٠).

(٣) روضة المحبين (٤٦٩).

النهي عن اتباع الهوى

تواطأت الأدلة الشرعية على النهي عن اتباع الهوى، وقد نهجت هذه الأدلة أكثر من منهج وطريق لأجل ذلك:

أ ـ فتارة يأتي الدليل في النهي عن الهوى مطلقاً:

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾[النساء: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص:٢٦].

ب ـ وتارة يأتي الدليل في النهي عن اتباع أهواء أهل الكفر والضلال:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[الأنعام: ١٥٠].

وأمر سبحانه نبيه أن يقول للكفار: ﴿ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام:٥٦].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال عز وجل: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [المائدة:٤٨].

وقال سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ [الشورى:١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف: ٢٨].

فأضاف الله عز وجل الهوى إلى الكفار والمشركين؛ لأن أهواءهم ضالة عن الحق، بخلاف المؤمن، فإن الكافر هواه كله باطل، والمؤمن قد يرتقي هواه حتى يصير موافقاً لما أمر به سبحانه، وتابعاً لما جاء به النبي ﷺ، فإذا مال إلى شيء كان ذلك الشيء سنة وطاعة، وعلى أدنى الأحوال قد يكون مباحاً. قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴾ [محمد:١٤].

ج ـ وتارة يرد الدليل بذم الهوى المضاف إلى النفس الأمارة بالسوء:

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**العَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا**»[(١)].

د ـ وقد يرد الدليل بذم الهوى المضاف إلى القلب:

عن حذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالحَصِيرِ عُوداً عُوداً، فَأَيّ قَلْب أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادّاً كَالكُوزِ مُجَخِّياً، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَراً إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»[(٢)].

فأضاف الهوى إلى القلب.

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٢٦٠) وصححه الحاكم.

(٢) رواه مسلم (١٤٤).

متى يعاقب الإنسان على هواه؟

الهوى والشهوة شيء ملازم للإنسان، لا يستطيع مفارقته ولا تركه، فالله جبل النفس البشرية على ذلك، فهل يعاقب الإنسان على هواه وشهوته كلما هوى واشتهى؟!.

وهل الإنسان مطالبٌ باستخراج الهوى من نفسه وقلبه، ونبذه خارجاً عنه؟!.

أم أن لذلك ضوابطَ وحدوداً؟!.

قال ابن تيمية: (نفس الهوى والشهوة لا يعاقب عليه، بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها كان نهيه عبادة لله وعملاً صالحاً)[١].

فهذه هي حال المسلم الصادق؛ لا تزال نفسه تأمره بكذا وكذا، وهو يجاهدها وينهاها عن مساوئ شهواتها، ويخاف ربه في تلك المقامات التي تأمره بها، ومن كانت هذه حاله فله

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٣٥).

الجزاء الحسن، قال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

فالهوى لا يعاقب عليه إلا عند العمل به، فالرجل قد يهوى المعصية ويتمناها، فإذا صدق ذلك بالعمل حُوسب على هواه وعمله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَى، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ؛ فَالعَيْنَانِ زِنَاهما النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهما الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلَامُ، وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، وَالقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ**»[١].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٧).

أسباب اتباع الهوى

إن اتباع الهوى له أسباب عدة تدعو الناس إليه، فلماذا يتبع الناس أهواءهم؟، ولماذا يعرضون عن الحق واتباع الصراط المستقيم؟.

لذلك عدة أسباب، منها:

أولاً: عدم التعود على ضبط الهوى من الصغر:

قد يلقى الطفل في صغره من أبويه حباً مفرطاً، وحناناً زائداً، حيث يلبيان له جميع رغباته، ويأتيانه بكل ما يشتهيه ويتمناه، لا يفرقان بين حرام وحلال، أو بين ممنوع ومسموح.

فإذا نام عن صلاة الفجر تركه والداه وقالا: مرهق نعسان، وإذا أراد لعبةً من الألعاب أتياه بها وتغاضيا عما فيها من الموسيقى أو المناظر الخليعة، وللفتى سائق خاص، وللفتاة غرفة مستقلة مع طبق استقبال.

فينشأ الطفل على اتباع هواه، كلما أراد شيئاً حصَّله وفعله، لا

يردعه رادع، ولا يمنعه وازع، حتى إذا بلغ مبلغ التكليف انطلق هواه شرقاً وغرباً، وركضت جوارحه خلف هواه لتحقيق تلك الأماني والأحلام، خاصةً مع فترة المراهقة، فيفعل الجرائم العظام، والأمور الكبار، وليس من سبيلٍ لدفعه عن ذلك ولا منعه.

وقد عمل الصحابة رضي الله عنهم في تربية أبنائهم على اعتياد ضبط النفس منذ الصغر، فكانوا يحاولون معهم في الصيام، والصلاة، والحج، وغير ذلك من الأمور الشرعية.

عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: «**مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِراً فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِماً فَلْيَصُمْ**». قالت: فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار[١].

وتربية الطفل على نيل ما يتمناه لا تعود عليه بالضرر الديني

(١) رواه البخاري (١٩٦٠) ومسلم (١١٣٦).

فقط، بل هي ضارة له في دنياه، فقد يصيب الأهل شيئاً من مصائب الدنيا وجوائحها، فيذهب عنهم مالهم، ويضيق عليهم معيشتهم، أو قد يتوفى معيل الأسرة، ففي ذلك الوقت كيف ستلبى لهذا الطفل رغباته؟! وكيف سينال أمانيه وأحلامه؟!.

ثم بعد ذلك إذا خاض غمار الحياة ومعتركها سيجد أن أهله ليسوا قادرين على إعطائه كل ما يتمناه، خاصةً إذا دخل مرحلة الاستقلال بالنفس، وبناء بيت الزوجية، فسيتمنى أن يعمل عملاً معيناً ولا يستطيع الوصول إليه.

وكذلك الفتاة التي تعودت على الدلال والرفاهية، قد تتزوج شخصاً ليس في مستوى أهلها المالي، فتتبرم من ذلك وتتأفف، وقد تعير زوجها بأنه فقير، وتدخل حياتها في دوامة من الصراعات والنزاعات التي تفسد عليها استقرارها النفسي، وراحتها مع زوجها.

ثانياً: مجالسة أهل الأهواء ومصاحبتهم:

إن العواطف والدوافع تنمو بالمجالسة وطول الصحبة، فمن لازم مجالسة أهل الهوى وأدام صحبتهم فلا بد أن يتأثر

بهم، لاسيما إن كان ضعيف الشخصية وعنده قابلية للتأثر بمن حوله دون حساب.

ولذلك كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والأهواء، قال أبو قلابة: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبّسوا عليكم في الدين بعض ما لُبِّسَ عليهم)[١].

وقال مجاهد: (لا تجالسوا أهل الأهواء)[٢]، ومثله عن قيس بن إبراهيم[٣].

ثالثاً: ضعف المعرفة الحقة بالله والدار الآخرة:

الذي لا يقدّر ربه حق قدره لا يبالي إذا أغضبه أو عصاه أو خالف أمره، ليس في قلبه توقيرٌ لله ولا تعظيمٌ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (٩١).
(٢) التنبيه والرد للملطي (٨٦).
(٣) حلية الأولياء (٤/ ٢٢٢).

وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧].

رابعاً: عدم قيام الآخرين بما يجب عليهم نحو صاحب الهوى:

تقصير الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى تمادي صاحب الهوى في هواه، ومضيه في طريقه بلا مبالاة، حتى يتمكن الهوى من قلبه، ويسيطر على سلوكياته وتصرفاته.

ولذلك جاء الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال جل شأنه: ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ [النساء:٦٣].

فإذا تعود الناس كافةً على إنكار المنكر كان رادعاً لأصحاب الهوى عن التمادي في طريقهم.

خامساً: حب الدنيا والركون إليها:

من أحب الدنيا، وركن إليها، ونسي الآخرة؛ يتولد عنده سعي حثيث لتلبية كل ما يفرضه هذا الحب وذلك الركون، حتى وإن كان مخالفاً لمنهج الله، وذلك بعينه هو اتباع الهوى.

وقد لفت المولى النظر إلى هذا السبب، فقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس:٧-٨].

سادساً: المسارعة في الحصول على ما تشتهيه النفس من المباحات:

الإنسان متى ما دعته نفسه إلى شيءٍ من المباحات أسرع إلى إجابتها، وقد كان أهل العلم يربون طلابهم على مخالفة ما تهواه أنفسهم من المباحات.

دخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب بن المهلب بالأهواز، وعند سليمان جارية له يقال لها: البدر، من أحسن الجواري وجهاً وأكمله، فقال سليمان لخلف: كيف ترى هذه الجارية؟ فقال: أصلح الله الأمير، ما رأت عيناي جارية قط

أحسن منها. فقال: خذ بيدها. فقال خلف: ما كنت لأفعل ولا أسلبها الأمير وقد عرفت عجبه بها. فقال: خذها - ويحك - على عجبي بها؛ ليعلم هواي أني غالب!![١].

فحرمان النفس من بعض المباحات لأجل التعويد على الصبر يعود عليها بالنفع، خاصةً إذا واجهت شهواتها وأمانيها المحرمة، ولكن إذا كانت قد عُوِّدت على نيل المباحات فإنها تضعف أمام المحرمات.

سابعاً: الجهل بالعواقب المترتبة على اتباع الهوى:

الجهل بعاقبة الشيء داعٍ إلى ممارسته، وللهوى أضرار ومفاسد قد تدفع صاحب الهوى إلى ترك هواه إذا علمها.

أنشد أحمد بن القاسم الطبراني:

سَأَحْـذَرُ مَـا يُخَـافُ عَلَـيَّ مِنْـهُ
وَأَتْرُكُ مَا هَوَيْتُ لِـمَا خَشِيْتُ[٢]

(١) ذم الهوى (٢٦).
(٢) تاريخ دمشق (٧/ ٣٧٢).

أضرار اتباع الهوى

الهوى له أضراره الكثيرة، العاجلة والآجلة، والتي تمنع على الإنسان التلذذ بهواه، وتنسيه ما كان قد تَنَعَّم به.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم؛ فإنّ عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوّفها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعا على النفس ذلت لهما وانقادت)[(١)].

فما هي أضرار اتباع الهوى:

خسران الآخرة:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات:٣٧-٤١].

(١) أدب الدنيا والدين(٢١).

قال الشعبي: (سمي الهوى هوىً لأنه يهوي بصاحبه في النار)[١].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (من كان الأجوفان همّه خسر ميزانه يوم القيامة)[٢]، ويقصد بالأجوفين: شهوة البطن، وشهوة الفرج.

وصاحب الهوى تراه في ذلك اليوم متخبطاً بسبب هواه، ويصرع عن النهوض يوم القيامة عن السعي مع الناجين، كما صُرع في الدنيا بمرافقته لأهل الأهواء. قال محمد بن أبي الورد: (إن لله عز وجل يوماً لا ينجو من شره منقاد لهواه، وإنّ أبطأ الصرعى نهضةً يوم القيامة صريعُ الشهوة)[٣].

وقال عطاء: (من غلب هواه عقله، وجزعه صبره افتُضح)[٤]. أي: افتضح يوم الدين الفضيحة الكبرى، بخسرانه الآخرة ودخوله النار.

(١) سنن الدارمي(٣٩٥).
(٢) الزهد لابن المبارك (٦١٢).
(٣) صفة الصفوة (٢/ ٣٩٥).
(٤) ذم الهوى (٢٧).

وقال إبراهيم بن أدهم: (الهوى يردي، وخوف الله يشفي، واعلم أن ما يزيل عن قلبك هواك إذا خفت من تعلم أنه يراك)[١].

الهوى يقود إلى الضلال:

أصل كل ضلال اتباع الظن والهوى، قال سبحانه في أصحاب الضلال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[النجم:٢٣]؛ فلأجل اتباعهم الظن وهوى النفس وقعوا في الضلال.

ولا يكتفي الهوى بإضلال صاحبه؛ بل يتعداه إلى إضلال الآخرين وإبعادهم عن الطريق، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١١٩] أي: يضلون غيرهم بسبب هواهم.

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ١٨).

عدم الانتفاع بالقرآن والمواعظ:

الهوى يصد عن فهم القرآن والانتفاع بمواعظه وأحكامه، وقد كان أصحاب الأهواء يستمعون القرآن من في النبي ﷺ مباشرة، ومع ذلك لم يكونوا ينتفعون به، يقول الله تعالى عنهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٦].

فعدم الاستجابة لأوامر القرآن والسنة هي دليل اتباع الهوى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [القصص: ٥٠].

وعن علي رضي الله عنه قال: (إنما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق. وإن الدنيا قد ترحّلت مدبرة، وإن الآخرة مقبلة، ولكل واحدةٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة؛ فإنّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل)[(١)].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٤٩٥).

يفسد القلب ويحول بينه وبين السلامة:

قال ابن القيم: (والقلب لا يتم سلامته مطلقاً حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوىً يناقض التجريد، والإخلاص يعم، وهذه الخمسة حجب عن الله، وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة لا تحصر، ولذلك اشتدت حاجة العبد بل ضرورته إلى أن يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم، فليس العبد أحوج إلى شيء منه إلى هذه الدعوة، وليس شيء أنفع منها)(١).

سبب لذهاب العقل والعلم:

قال المعتصم يوماً لأبي إسحاق الموصلي: (يا أبا إسحاق، إذا نصر الهوى ذهب الرأي)(٢).

وقال ابن القيم: (سمعت رجلاً يقول لشيخنا ابن تيمية -

---

(١) الجواب الكافي (٥٨-٥٩).
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٣١١).

رحمه الله-: إذا خان الرجل في نقد الدراهم سلبه الله معرفة النقد أو نسيه. فقال الشيخ: هكذا من خان الله تعالى ورسوله في مسائل العلم)[١].

فمن اتبع هواه فيها فإن الله عز وجل يسلبه العقل والعلم.

الانسلاخ من الإيمان دون الشعور بذلك:

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

قال بعض العلماء: (الكفر في أربعة أشياء: في الغضب، والشهوة، والرغبة، والرهبة، ولقد رأيت منهن اثنتين: رجلاً غضب فقتل أمه، ورجلاً عشق فتنصر)[٢].

---

(١) روضة المحبين (٤٨٠).

(٢) ذم الهوى (٢٤).

وكان أحدهم يطوف بالبيت، فنظر إلى امرأة جميلة فمشى إلى جانبها ثم قال:

أَهْوَى هَوَى الدِّينِ وَاللَّذَّاتُ تُعْجِبُنِي
فَكَيْفَ لِي بِهَوَى اللَّذَّاتِ وَالدِّينِ

فقالت: دع أحدهما تنل الآخر[(١)]. فلا يمكن الجمع بين الهوى والدين.

مهلك من المهلكات:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الـمَرْءِ بِنَفْسِهِ**»[(٢)].

وعن وهب بن منبه قال: (أعون الأخلاق على الدين الزهادة في الدنيا، وأوشكها ردىً اتباع الهوى، ومن اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة في الدنيا حب المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم، ومن استحلال المحارم يغضب الله،

(١) روضة المحبين (٤٧٩).
(٢) شعب الإيمان (٧٤٥)، وحسنه الألباني.

وغضب الله الداء الذي لا دواء له إلا رضوان الله، ورضوان الله دواء لا يضر معه داء، ومن يريد أن يرضي ربه يسخط نفسه، ومن لا يسخط نفسه لا يرضي ربه، إن كان كلما ثقل على الإنسان شيء من دينه تركه أوشك أن لا يبقى معه شيء)[(١)].

يغلق على العبد أبواب التوفيق:

قال الفضيل بن عياض: (من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق)[(٢)].

فصاحب الهوى يتخبط في طريقه، ولا يوفق إلى الطريق المستقيم؛ لأنه أعرض عن مصدر الهداية والتوفيق، وصار متبعاً لهواه لا للكتاب والسنة، فكيف يوفق للطريق الصحيح!، قال سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[الجاثية:٢٣].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥١٦٨).
(٢) روضة المحبين (٤٧٩).

سبب لتلاشي الطاعة وانعدامها:

لأن صاحب الهوى يعزّ عليه ويكبر في نفسه أن يطيع غيره، حتى لو كان خالقه، وبعض الناس ما أوقعهم في الكفر إلا هذا؛ لأن الهوى تمكن من قلبه وملك عليه أقطار نفسه، فصار له أسيرا وموقعا له في الغرور، والإنسان ليس له قلبين في جوفه، فإما أن يطيع ربه، وإما أن يطيع نفسه وهواه وشيطانه.

سبب للاستهانة بالذنوب والآثام:

فإن المتبع للهوى يقسو قلبه، وإذا قسا القلب استهان بالذنوب والآثام، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الـمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا**»[(١)].

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨).

سبب للابتداع في الدين:

قال حماد بن أبي سلمة: (حدثني شيخ للرافضة تاب قال: كنا إذا اجتمعنا واستحسنا شيئاً جعلناه حديثاً)[١].

سبب لضيق المعيشة وعداوة الناس:

إن أصل العداوة والشر والحسد الواقع بين الناس من اتباع الهوى، فمن خالف هواه أراح قلبه وبدنه وجوارحه فاستراح وأراح، ومن أطاع هواه عاش عيشة مظلمة، وكره الناس وكرهوه.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اقدعوا[٢] هذه النفوس عن شهواتها، فإنها طلاعة تنزع إلى شرّ غاية، إن هذا الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة، وربّ نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً)[٣].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ١٣٨).

(٢) أي: كفوا وامنعوا.

(٣) البيان والتبيين (٤٥٤).

وقال أبو بكر الوراق: (إذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق، وإذا أبغضه الخلق أبغضهم)[١].

ثم إذا كبر الإنسان وبلغ مبلغ الشيخوخة وجد مساوئ اتباعه لهواه، قال الشاعر:

مَآرِبُ كَانَتْ فِي الشَّبَابِ لَأَهْلِهَا
عِذَابٌ فَصَارَتْ فِي المَشِيبِ عَذَاباً[٢]

أي: مآرب وحاجات كانت عذبة وجميلة للمرء عندما كان شاباً؛ انقلبت عليه عذاباً في مشيبه.

سبب تمكين الإنسان لعدوه منه:

فإن أعدى عدو للمرء شيطانه، وأصدق صديق له عقله الناصح له، والملَك الذي يلهمه الخير، فإذا اتبع هواه أعطى نفسه بيده لعدوه واستأسر له، وهذا بعينه جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

---

(١) ذم الهوى (٢٩).
(٢) الفوائد (٤٦).

وكان يقال: (إذا غلب عليك عقلك فهو لك، وإذا غلب هواك فهو لعدوك)[١].

سبب لنيل ذم الناس:

يقال: إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعر قط إلا هذا البيت:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الهَوَى قَادَكَ الهَوَى
إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ[٢]

قال ابن عبد البر: (لو قال: إلى كل ما فيه عليك مقال؛ كان أبلغ وأحسن)[٣].

وللشافعي:

إِذَا حَـــارَ وَهْمُـــكَ فِي مَعْنَيَيْـــنِ
وَأَعْيَاكَ حَيْثُ الهَوَى وَالصَّوَابْ

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس (١٧٢).
(٢) البداية والنهاية (٩/ ٣٥٢).
(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس (١٧١).

فَدَع مَا هَوَيْــــتَ فَإِنَّ الهَــــوَى
يَقُــودُ النُّفُوسَ إِلَى مَا يُعَــابْ[١]

سبب للذل والهوان:

قال ابن المبارك:

وَمِنَ البَـلَاءِ وَلِلْبَلَاءِ عَلَامَــةٌ
أَنْ لَا تَرَى لَكَ عَنْ هَوَاكَ نُزُوعُ
العَبْدُ عَبْدُ النَّفْسِ فِي شَهَوَاتِهَا
وَالحُـرُّ يَشْبَعُ مَــرَّةً وَيَجُــوعُ[٢]

وسئل أحد الحكماء عن الهوى فقال: (هوانٌ سُرقت نونه). وقد أخذ ذلك المعنى أحد الشعراء فصاغه بقوله:

نُونُ الهَوَانِ مِنَ الهَوَى مَسْرُوقَةٌ
فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَانَا[٣]

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس (١٧١).
(٢) تاريخ دمشق (٣٢/ ٤٦٨).
(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ١٦٨).

وقال الشاعر:

وَلَقَدْ رَأَيْــتُ مَعَاشِراً جَمَحَتْ بِهِــمْ
تِلْكَ الطَّبِيعَةُ نَحْــوَ كُلِّ تَبَــارِ
تَهْــوَى نُفُوسُهُمُ هَوَى أَجْسَامِهِــمْ
شُغْـلاً بِكلِّ دَنَــاءَةٍ وَصَغَــارِ
تَبِعُوا الهَوَى فَهَوَى بِهِمْ وَكَذَا الهَوَى
مِنْهُ الهَــوَانُ بِأَهْلِــهِ فَحَــذَارِ
فَانْظُــرْ بِعَيْنِ الحَقِّ لَا عَيْنَ الهَـوَى
فَالحَقُّ لِلْعَينِ الجَلِيَّةِ عَــارِي[1]
قَادَ الهَـوَى الفُجَّــارَ فَانْقَادُوا لَـهُ
وأبتْ عَلَيْهِ مَقَادَةُ الأَبْــرَارِ[2]

(١) عاري: ليس عليه غطاء واضح.
(٢) التبصرة لابن الجوزي (١/ ١٥٥).

فوائد مخالفة الهوى

قال عمر بن عبد العزيز: (أفضل الجهاد جهاد الهوى)[(١)].

وقال سفيان الثوري: (أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعاً، ومن الـمُحَقَّرَاتِ تُنْتَجُ الموبقات)[(٢)].

والعلاج الحقيقي لأدواء القلوب في مخالفة الهوى، يقول سهل بن عبد الله: (هواك داؤك، فإن خالفته فدواؤك)[(٣)].

فما هي الفوائد المترتبة على مخالفة الإنسان لهوى نفسه؟.

نيل الجنة:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٢٥١).
(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٢٥١).
(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ١٤٤).

فمن جاهد نفسه وصابرها على مخالفة هواها نال أفضل الجزاء يوم القيامة، وذلك بدخول الجنة، والعيش الهنيء والحسن، وذلك جزاء الصبر على الهوى، قال تعالى: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان:١٢].

قال أبو سليمان الداراني: (﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ أي: بما صبروا عن الشهوات)[١].

وَآفَةُ العَقْلِ الهَوَى فَمَنْ عَلَا
عَلَى هَوَاهُ عَقْلُه فَقَدْ نَجَا[٢]

النجاة من أهوال يوم المحشر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الـمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ:**

(١) حلية الأولياء (٩/ ٢٦٨).
(٢) الاستذكار (٢/ ٣٦٤).

إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضتْ عَيْنَاهُ»[١] .

قال ابن القيم: (إذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى؛ فإن الإمام المسلط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه، والشاب المؤثر لعبادة الله على داعي شبابه لولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك، والرجل الذي قلبه معلق بالمساجد إنما حمله على ذلك مخالفة الهوى الداعي له إلى أماكن اللذات، والمتصدق المخفي لصدقته عن شماله لولا قهره لهواه لم يقدر على ذلك، والذي دعته المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله عز وجل وخالف هواه، والذي ذكر الله عز وجل خالياً ففاضت عيناه من خشيته إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه، فلم يكن لحر الموقف وعرقه وشدته سبيل عليهم يوم القيامة، وأصحاب الهوى قد بلغ منهم الحر والعرق كل مبلغ، وهم ينتظرون بعد هذا دخول سجن الهوى)[٢] .

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٣) ومسلم (١٠٣١).
(٢) روضة المحبين (٤٨٥-٤٨٦).

الشرف والعلو:

قال معاوية رضي الله عنه: (المروءة ترك الشهوات وعصيان الهوى، فاتباع الهوى يُزمن[١] المروءة، ومخالفته تنعشها)[٢].

وقيل للمهلب بن أبي صفرة: (بَمَ نلت ما نلت من شرف العلو والمكانة؟ قال: بطاعة الحزم وعصيان الهوى)[٣].

وقال بعضهم: (أشرف العلماء من هرب بدينه من الدنيا، واستصعب قياده على الهوى)[٤].

وقال أبو علي الدقاق: (من ملك شهوته في حال شيبته؛ أعزه الله تعالى في حال كهولته)[٥].

---

(١) أي: يصيبها بمرض مُزْمِن، وهو المرض الذي يتكرر على المرء كل فترة وأخرى.
(٢) روضة المحبين (٤٧٧-٤٧٨).
(٣) العقل وفضله لابن أبي الدنيا (٩٢).
(٤) ذم الهوى (٢٧).
(٥) روضة المحبين (٤٨٣).

قال ابن عبد القوي:

فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَّاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ
أَكَبَّ عَلَى اللَّذَّاتِ عَـضَّ عَلَى اليَدِ

وَفِي قَمْعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ اعْتِزَازُهَا
وَفِي نَيْلِهَا مَا تَشْتَهِـــي ذُلُّ سَرْمَــدِ

وَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِمَا يُكسِـــبُ العُلَا
وَلَا تُرْضِ النَّفْسَ النَّفِيسَةَ بِالرَّدِي

وَفِي خَلْوَةِ الإِنْسَـانِ بِالعِلْمِ أُنْسُـهُ
وَيَسْلَمُ دِينُ الـمَرْءِ عِنْــدَ التَّوَحُّدِ

وَيَسْلَمُ مِنْ قِيــلٍ وَقَالٍ وَمِنْ أَذى
جَلِيسٍ وَمِنْ وَاشٍ بَغِيضٍ وَحُسَّدِ

فَكنْ حِلْسَ بَيْتٍ فَهْوَ سِتْرٌ لِعَوْرَةٍ
وَحِرْزُ الفَتَى عَنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُفْسِدِ

وَخَيْرُ جَلِيسِ الـمَرْءِ كُتْبٌ تُفِيدُهُ
عُلُوماً وَآدَابــاً وَعَقْلاً مُؤَيَّــدِ(١)

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٣٠٣-٣٠٤).

تقوية العزائم:

اتباع الهوى يحل العزائم ويوهنها، ومخالفة الهوى تشد العزائم وتقويها، والعزيمة هي مركب العبد إلى الله والدار الآخرة، فمتى تعطل المركوب تعطل المسافر.

قيل ليحيى بن معاذ: (من أصح الناس عزماً؟ قال: الغالب لهواه)[١].

حفظ الصحة:

قال ابن رجب: (كان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله، فوثب يوماً وثبة شديدة، فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر. وعكس هذا أن بعض السلف رأى شيخاً يسأل الناس فقال: إن هذا ضعيف، ضيع الله في صغره فضيعه الله في كبره)[٢].

---

(١) ذم الهوى (٢٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٨٦).

الحفظ من بلاء الدنيا:

قال إبراهيم بن أدهم: (أشد الجهاد جهاد الهوى، ومن منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظاً ومعافىً من أذاها)[1].

(١) شعب الإيمان (٨٧٦).

علاج الهوى

من وقع في الهوى يحتاج إلى طرق لعلاج نفسه من هواها؛ لعل الله أن يرحمه ويلحقه بالصالحين، ومن أهم الأدوية النافعة في علاج الهوى:

أولاً: الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، ودعاؤه عز وجل أن يقيه شر هذه الأهواء، وقد كان هذا دأب النبي ﷺ والسلف الصالح.

فعن قطبة بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ**»[(١)].

وقال عمر بن عبد العزيز لخالد بن صفوان: عظني وأوجز. فقال: يا أمير المؤمنين، إن أقواماً غرهم ستر الله، وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين،

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٩١)، وحسنه.

وعما افترض الله علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين. فبكى، ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى[(١)].

وكان إبراهيم التيمي يدعو ويقول: (اللهم اعصمني بكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ من اختلاف في الحق، ومن اتباع الهوى بغير هدى منك، ومن سبيل الضلال، ومن شبهات الأمور، ومن الزيغ واللبس والخصومات)[(٢)].

ثانياً: ملء القلب بما يضاد الهوى:

وذلك بملئه بمحبة الله عز وجل والقرب منه، حتى يخرج الهوى بالكلية من هذا القلب.

ثالثاً: مخالطة العلماء وأهل الصلاح:

قال ابن عبد القوي:

وَخَالِطْ إِذَا خَالَطتَّ كُلَّ مُوَفَّـقٍ
مِنَ العُلَمَاءِ أَهْلِ التُّقَـى وَالتَّسَـدُّدِ

(١) حلية الأولياء (٨/ ١٨).
(٢) حلية الأولياء (٤/ ٢١٢).

يُفِيدُكَ مِنْ عِلْمٍ وَيَنْهَاكَ عَنْ هَوىً
فَصَاحِبْهُ تُهْدَى مِنْ هُدَاهُ وَتَرْشُـدِ
وَإِيَّاكَ وَالهَمَّازَ إِنْ قُمْتَ عَنْهُ وَالْـ
ـبَذِيِّ فَإِنَّ الـمَرْءَ بِالـمَرْءِ يَقْتَـدِي
وَلَا تَصْحَبِ الحَمْقَى فَذُو الجَهْلِ إِنْ يَرُمْ
صَلَاحاً لِشَيْءٍ يَا أَخَا الحَزْمِ يُفْسِدِ[1]

وقد ذكر ابن القيم جملةً من الأمور التي يمكن للمرء أن يتخلص من الهوى بالاستعانة بها بعد عون الله له، فقال: (فإن قيل: فكيف يتخلص من هذا مَنْ قد وقع فيه؟.

قيل: يمكنه التخلص - بعون الله وتوفيقه له - بأمور نذكر منها:

أحدها: عزيمة حر يغار لنفسه وعليها.

الثاني: جرعة صبر، يصبر نفسه على مرارتها تلك الساعة.

الثالث: قوة نفس تشجعه على شرب تلك الجرعة، والشجاعة كلها صبر ساعة، وخير عيش أدركه العبد بصبره.

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٣٠٤).

الرابع: ملاحظته حسن موقع العاقبة، والشفاء بتلك الجرعة.

الخامس: ملاحظته الألم الزائد على لذة طاعة هواه.

السادس: إبقاؤه على منزلته عند الله تعالى، وفي قلوب عباده، وهو خير وأنفع له من لذة موافقة الهوى.

السابع: إيثاره لذة العفة وعزتها وحلاوتها على لذة المعصية.

الثامن: فرحه بغلبة عدوه وقهره له ورده خاسئاً بغيظه وغمه وهمه، حيث لم ينل منه أمنيته، والله تعالى يحب من عبده أن يراغم عدوه ويغيظه. كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌ ﴾ **[التوبة: ١٢٠]**. وعلامة المحبة الصادقة مغايظة أعداء المحبوب ومراغمتهم.

التاسع: معرفة أن مخالفة الهوى توجب شرف الدنيا وشرف الآخرة، وعز الظاهر وعز الباطن، ومتابعته تضع العبد في الدنيا والآخرة، وتذله في الظاهر وفي الباطن)[١].

(١) انظر: روضة المحبين (٤٧١-٤٨٥).

الهوى المحمود والهوى المذموم

لا ينبغي ذم الهوى مطلقاً ولا مدحه مطلقاً، وإنما يذم الإفراط فيه، فما زاد على جلب المنافع ودفع المضار أصبح مذموماً.

وهناك هوىً محمود، يحبه الله ورسوله، وذلك عندما تصبح النفس تهوى ما يحبه الله ورسوله.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب:٥١] قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك[1].

فالنبي ﷺ كان يهوى بعض الأمور، وكان سبحانه وتعالى ينزل القرآن موافقاً لهواه؛ مما يدل على أن مما تهواه النفس ما هو محمود وممدوح.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٨٨).

ومن الأمور التي كان يهواها النبي ﷺ أن تنتقل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وسبب ذلك كما ذكره العلماء أنه كان يهوى اتباع قبلة إبراهيم عليه السلام [(١)].

وعن أبي برزة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُم شَهَوَاتِ الغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ، وَمُضِلَّاتِ الهَوَى**»[(٢)].

فلم يخشَ النبي ﷺ على أمته جميع الهوى؛ بل خشي عليهم مضلات الهوى، فالهوى قد يكون مضلاً وهو الذي يتصور منه إفساد العقل والدين، وأما الهوى غير المضل فليس بذلك؛ لأجل هذا لم يحذر النبي ﷺ منه.

ولكن الهوى المذموم أكثر، ولأجل ذلك نجد كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم تذم الهوى، وإنما يُراد بتلك النصوص الهوى المذموم، لا مطلق الهوى.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٢٢).

(٢) رواه أحمد (١٩٧٨٨)، وصححه الألباني.

قال ابن القيم: (لما كان الغالب من مطيع هواه وشهوته أنه لا يقف فيه على حد المنتفع به؛ أطلق ذم الهوى والشهوة؛ لعموم غلبة الضرر، ولأنه يندر من يقصد العدل في ذلك ويقف عنده؛ فلذلك لم يذكر الله تعالى الهوى في كتابه إلا ذمه، وكذلك في السنة لم يجئ إلا مذموماً، إلا ما جاء منه مقيداً)(١).

ومما ورد في السنة من الهوى الذي لا يذم: حديث عائشة رضي الله عنها السابق(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ**»(٣).

فدل الحديث على أن هناك من الهوى ما يكون محموداً، وهو الهوى الذي يكون تبعاً لما جاءت به الشريعة السمحاء.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لـما كان يوم بدر، فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

(١) روضة المحبين (٤٦٩) بتصرف.
(٢) رواه البخاري (٤٧٨٨).
(٣) رواه النسوي في كتاب الأربعين (٩)، وصححه النووي.

«**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الأُسَارَى؟**». فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة؛ أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟**». قلت: لا والله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيبا لعمر- فأضرب عنقه؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت[1].

فهذا نبي الرحمة ﷺ مال إلى قول الصديق وهويه؛ لأنه رأى فيه مصلحة الإسلام، فهو هوىً محمود؛ لأنه عن اجتهاد مبنيٍ على علم، مع أن القرآن نزل مصوّباً لرأي عمر بعد ذلك.

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٣).

الخاتمة

إن مجاهدة الهوى أمرٌ متعب، وشاق على النفس وعلى الجسد، ولكن نتيجته جميلة، وثمرته لذيذة، لا يتخلى عنها إلا أصحاب الهمم الضعيفة السقيمة، يقول أبو العتاهية:

أَشَدُّ الجِهَادِ جِهَادُ الهَوَى
وَمَا كَرَّمَ المَرْءَ إِلَّا التُّقَى

وقال الشاعر:

صَبَرْتُ عَلَى الأَيَّامِ حَتَّى تَوَلَّتِ
وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتِ
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الفَتَى
فَإِنْ أُطْمِعَتْ تَاقَتْ وَإِلَّا تَسَلَّتِ[(١)]

وأكبر علامات عدم اتباع الهوى هو الابتعاد عن زينة الحياة الدنيا وزخرفها، يقول مالك بن دينار: (من تباعد من

---

(١) ذم الهوى (١٤٣).

زهرة الحياة الدنيا فذلك الغالب لهواه)[١].

والهوى يدخل على جميع الناس، وليس مختصاً بالجهال، أو بالصغار، بل يدخل قلوب العلماء، ويدخل قلوب أصحاب العقل والرأي والمشورة، ويدخل قلوب الكبار والصغار، والرجال والنساء.

قال بعض الحكماء: (إنما يحتاج اللبيب ذو الرأي والتجربة إلى المشاورة ليتجرد له رأيه من هواه)[٢].

فليس لأحدٍ أن يقول: إن النهي عن اتباع الهوى لا ينالني؛ لأني لا أتبع هواي.

قال منصور الفقيه:

إِنَّ الـمَرَائِيَ لَا تُرِيــكَ   خُدُوشَ وَجْهِكَ فِي صَدَاهَا
وَكَذَاكَ نَفْسُكَ لَا تُرِيـكَ   عُيُـوبَ نَفْسِكَ فِي هَوَاهَا[٣]

(١) حلية الأولياء (٢/ ٣٦٤).
(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس (١٧١).
(٣) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري (٢٧٥).

بل قد يدخل الهوى قلوب أعقل الرجال وأكثرهم تديناً وعلماً.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يكفينا دواعي الهوى، وأن يصرف عنا سبل الردى، وأن يجعل التوفيق لنا رائداً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة ، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

أسئلة المستوى الأول المباشرة:

١- عرف الهوى في اللغة والاصطلاح.

٢- لاتباع الهوى أسباب، اذكر أبرزها.

٣- لاتباع الهوى مفاسد وأضرارا متعددة، فما هي؟

٤- اتباع الهوى داء، فما دواؤه؟

أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

١- متى يعاقب الإنسان على اتباع الهوى؟.

٢- لمخالفة الهوى فوائد متعددة، اذكر ما تيسر منها .

٣- ما القاسم المشترك بين السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم القيامة؟ وضح ذلك.

٤- قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**»، ماذا تفهم من هذا الحديث؟

٥- ما هي أكبر علامة على عدم اتباعك للهوى؟

المحتويات